ذكرى كارل ماركس حية في الكفاح الثوري للذين يسترشدون بنظريته

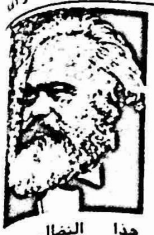

في الرابع عشر من الشهر الحالي صادفت الذكرى الثانية لوفاة كارل ماركس. وبدل طابع الاحتفالات الواسعة في كل انحاء الارض على مدى التاثير الهائل لافكاره على مجرى التطور البشري، ومدى الاخفاق الذي مبيت به البرجوازية العالمية في محاولاتها الدائبة للتعتيم على الماركسية ثم لتخريبها، وبعد ذلك لتشويهها وتغذية وتمويل الانحرافات عنها، والخروج بعد ذلك كله، للترويج لما يسمونه انتهاء حقبة الايديولوجيات كاعتراف "رسمي" بعجز ايديولوجية البرجوازية عن مواجهتها!

واذا كان تاثير ماركس، ممثلا بالماركسية التي تشمل العادية الديالكتيكية وتطبيقها على المجتمع فيما يعرف بالمادية التاريخية، مات غير بحاجة الى تاكيد، بما تشهده اليوم من استرشاد مما يعادل ثلث العالم بها في بناء المجتمع الجديد، مجتمع الاشتراكية، واشتراك ملايين اخرى بها في مختلف مواقع الكفاح الثوري ضد السيطرة الاحتكارية، وضد التخلف الاجتماعي، اذا كان كل ذلك ليس بحاجة الى تاكيد، فان ما ينبغي تاكيده، من خلال هذا التاثير العامل المتجدد للماركسية برهن لا على صحتها، وموضوعيتها وحسب، بل، وبسبب ذلك، على استجابتها للمعطيات المتجددة المتطورة للحركة الاجتماعية في شمولها، وتنوع المواقع الجغرافية، والخصائص القومية، والسمات الخاصة لهذه الحركة في مختلف البلدان.

ومن الادلة الواضحة على ذلك فشل كافة محاولات منظري البرجوازية العالمية لتسويق الراسمالية تحت صنع جديدة تتخذ اسماء اشتراكية، وتعازل المشاعر القومية في البلدان المتحررة حديثا باعطاء هذه "الاشتراكية" صفات قومية، تضعها في تعارض مع الاشتراكية العلمية، وتستهدف بها تشويش عملية الانجذاب الجماهيري الواسع نحو الاشتراكية.

وقد كانت نتيجة مثل هذه المحاولات اما انفضاح امر اصحابها في ميدان التطبيق العملي، او تخليهم عنها امام وضوح موضوعية قوانين التطور الاجتماعي، وقوانين بناء الاشتراكية، واستحالة قيام اشتراكية بدون الملكية العامة لوسائل الانتاج، وبدون قيادة حزب الطبقة العاملة لعملية التعبير الثوري وبناء الاشتراكية.

لقد كانت الماركسية منذ ولادتها حربية مكافحة. ولم تكن ابدا فلسفة للامراح العاجية، ولا للمالونات بل كانت الدليل الثوري للمكافحين من اجل التعبير الثوري لمجتمعات الاستغلال والتحكم واذا كانت تطبيقاتها قد اتخذت اشكالا ابداعية متفاوتة، حسب ظروف واوضاع البلدان والحركات التي تتبناها في تلك البلدان، فقد كان هذا الاختلاف لا يمس جوهر الماركسية ولا قوانينها العامة، وبقدر ما كان يعكس السمات الموضوعية الخاصة في تطبيقه للماركسية بقدر ما كان "ماركسيا حقا" ومتجاوبا مع منهجها ومعبرا عن اصالة روحها الثورية.

لقد حاول منظرو البرجوازية العالمية الايهام بان الاختلاف في التطبيق يعني وجود "ماركسيات" مختلفة موحين بذلك الى انه من الممكن اعتبار مختلف اشكال التحريف ماركسية، وان ليس هناك اسس وقوانين عامة للماركسية تشكل المعيار والبوصلة التي تحدد ما هو ماركسي وما هو زائف ومعاد للماركسية.

ولم تكن مصادفة ان تتزامن محاولات التحريف بالمنحنيات الصعبة للعمل الثوري، وان تكون واجهاتها، وليس شرطا اصحابها، على الدوام من اولئك الذين هزتهم مصاعب العمل الثوري فعادوا الى اصولهم البرجوازية او وقعوا تحت اغرائها!

لقد ناضلت الماركسية، بلا هوادة، ضد مثل هذه المحاولات، ودشن هذا النضال ماركس وانجلز، والبرودونية، والفوضوية، وبعد ضد لاسال، ودوهرنغ وفي فترة القمع البسماركي للحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني. وواصل لينين هذا النضال الذي يتخلل كل كتاباته وفي العملي، ضد الوضعية والبيرنشتاينية، والستالينية ومجموع احزاب ومنظري الاممية الثانية! ولا جدال في ان العمق الفكرية لهذا النضال بانت اكثر اضفاء للماركسية، وشاهدا على حيويتها. اما خصومها ومحرفوها فقد طواهم النسيان وبات كل موضوعاتهم الفكرية، مثار السخرية الا الذريع!

ومع ذلك لا يكل "الاحرار" الطبقيون" لاولئك التحريفيين من فبركة الجديد من موضوعات اسلافهم، خصوصا مع التاثير المتاثير في انجذاب اوساط او قوى وحركات ثورية جديدة للماركسية.

غير ان تاثير الماركسية في ايام ماركس وحتى ايامنا هذه اي بعد مائة عام على وفاته، يسير في اتجاه صاعد. وفي شرقنا العربي، على سبيل المثال، وبرغم ان الماركسية بسدود ضخمة من العار التحريم الرسمي للماركسية ومواجهة الماركسيين بالقمع الوحشي ومصادرة كل ما يعكس الفكر الماركسي. و"استيراد" كل التراث والافكار المعادية للماركسية ورفعه الى مرتبة "العلم الرسمي" في المدارس والجامعات. واستغلال الشكوك القومية ضد كل ما هو اجنبي واستخدام البيروقراطية الدينية لمحاربتها بحجة الدفاع عن الدين، والزعم بانها والصهيونية شيء واحد!

ورغم هذا، فقد ولدت الماركسية في بلادنا ولادة طبيعية، في الشارع، بين الجماهير وفي احضان حركتها الثورية من اجل التحرر والاستقلال الوطني والديمقراطية، وبقيت متجسدة في حزبها الثوري عندما لم تصمد نظريات كثيرة تبنتها قوى واحزاب اخرى امام مقتضيات الواقع المتطور وحاجات العمل الثوري المتجددة.

وليس ابلغ دليلا على ذلك من هذا النفوذ الواسع للماركسية في الحركة الوطنية الفلسطينية، ومن هذا التبني الصريح لها من قبل فصائل ومنظمات فلسطينية ثورية. وفي هذا الواقع احياء عملي لذكرى كارل ماركس، المفكر العظيم والثوري الفذ!

"الطليعة"

عندما خر المارد

محمود شقير

مات.. فما تحركت بموته
وريقة يابسة على شجر
ولا جناح طائر رفرف ربثه
ولا تعكر الجو قليلا واكفهر
ما انفطرت افئدة من الاسى
جازعة.. ولا انشق حجر
ولم تر العيون دمعة يتيمة
على خدود الحزن تنحدر
مات زنيما.. لن يظل فوق قبره القمر
من كان يعشق الظلام والدماء
وخبأ الحقد الدفين بانتشاء
حتى اشراب في عيونه
يرمي كالسن اللهيب
يلتهم الاخضر واليابس في شراسة
الغضب
من مرغ الهامات في الوحل
ونحر الاطفال والزهر
في مذبح الخيانة الشمطاء في
الظلام
من خيم الفاقة والخواء في البلاد
وصرخة الصغار.. او مناحة النسوة
في الحداد
والذعر قد عشش بين الجلد والعظام
كالوحش لا يغفو ولا ينام
من كم الافراد.. قيد الابصار
والهواء
وكان في سطوته يفعل ما يشاء
من درب الحياة في اوكارها
وظل كالحواة ينتظر
ومد ظله الكئيب
حتى جاوز السماء..
مات ملوث الجثة
يسخر من ازواره النهر والرياح
"النيل" نهرنا العظيم هل يغفر
جرمه..؟
حين اباح ماءه الطهور للئام
او هل ترى يوما.. ستستر الرياح؟!
سوأة ذلك الاثيم.. في الحفر
وهل يغتفر البشر..؟!
وهم يرون في الثرى جماجما
توشك ان تحجب ضوء الشمس في
الدروب
وغابة الاشواك والشجون في القلوب
تظلل الجبال والسهوب

× × ×

نهاية البداية؟!
بداية النهاية؟!
خر صريع حتفه
من كان يملك الجحيم والنذر
وظن انه الاله، لن يغلبه احد
وانه مخلد في الكون للابد
المارد الجبار راح!!!
هل انتهت نهاية البداية؟!
ام بدات بداية النهاية؟!

بيروت الحزينة

جورج الياس رشماوي

بيت سامور

لو افقنا يا رفيقي
من النوم قليلا
لو افقناكي نرى في الكون شيئا جميلا
لو افقناكي نحقق شيئا مستحيلا
فمتى يصحون من النوم العميق
يا رفيقي ومتى ندرى الطريق
ومتى يصحون جميعا لنصرة انسان
شقيق
ما هي النيران تسبح في سماء
بيروت
حزينة
غير انا يا رفيقي ما صحونا من
النوم العميق
راح نور الفجر في بيروت
جاءها ليل طويل
غير انا يا رفيقي
ما رأينا لمجازر بيروت مثيل
من محيط الخليج قد وقفنا
حائرين
امن العرب انتم ام الى من
تنتمون
فانا اشك فيكم فما هكذا
العربي يكون
شجر الارز ينادى هل من مستجيب؟!
شجر الارز ينادى اطردوا كل غريب!

إضاءة

ان الراسمالية التي تحولت الى امبريالية قد ولدت الحرب الامبريالية بصورة ضرورية موضوعية والحرب قادت الانسانية باسرها الى شفير الهاوية، الى شفير هلاك كل المدنية وتوحش وهلاك ملايين جديدة من الناس، ملايين لا عد لها.

وليس ثمة من مخرج، غير ثورة البروليتاريا.

ـ لينين ـ

كثيرون ينحون باللوم على النقاد المحللين بعدم مواكبتهم، بالنقد، اعمال الكتاب، ويصل اللوم احيانا الى اتهام النقاد بالتقصير، ويتجاوزه احيانا اخرى الى اتهامهم بان قصورهم هذا هو احد اسباب ركود الحياة الادبية.

وقد يكون هذا الامر صحيحا لو كان لدينا في الساطق المحللة نقاد بالمعنى الدقيق لكلمة "نقاد". ولكن، ماذا نقول وجميع من يقومون بعملية النقد يصدرون عن انطباعات شخصية وتذوق فردي خاص لا يتسع مسهما متكاملا موحدا، وينعكس هذا التذوق وقد يتناقض احيانا مع نتوع المادة الادبية: ذلك ان "الناقد" قد يتناول الاعمال الشعرية من منظور يختلف عن تناوله السابق لمادة القصة القصيرة او الرواية او غير ذلك. ومن هنا نستطيع ان نطلق، بتحفظ شديد، مصطلح "النقد الانطباعي" على الاعمال النقدية الدارجة لدينا، وطبيعي ان مثل هذا النقد يتاثر كثيرا بالخلفيات الاجتماعية والسياسية للناقد، كما يتاثر بالمعرفة او العلاقة الشخصية القائمة بين الناقد وصاحب العمل الذي جرى نقد عمله.

ومن الجدير بالذكر ان الكتابات النقدية غالبا ما تكون لاغراض بعيدة عن التقييم والنقد، فهي اما تتالى في المديح او في اصطياد النواقص، انطلاقا من ذاتية الناقد لا من موضوعيته ولذلك نجد ذلك النزق والانفعال الذي يصل حد التشهير وتبادل التهم بين الكاتب والناقد او كيل المدائح وآيات الرضى دون حدود. اما النتيجة فهي ضياع القارىء الذي ينشد الحقيقة تحت هذا الركام ولا يجدها.

ولكن، هل هذا هو قدرنا الذي لا مفر منه ولا بديل عنه ان اساتذة جامعاتنا قادرون، لو هم ارادوا ذلك، على الاسهام بشكل صحيح في ارساء قواعد اكثر سلامة لعملية النقد والتقييم. قد نختلف في الرؤية السياسية والمنطلق الفكري مع بعض الاساتذة، ولكن المحصلة النهائية لكتاباتهم اذا ما نفضوا عن انفسهم غبار ابراجهم العاجية وكتبوا سترسي قواعد يمكن الاسترشاد بها لمن يتصدى لعملية النقد والتقييم.

ان واجب اساتذة الجامعة هو الخروج باراثهم وافكارهم عن نطاق الجامعة ذاتها والتعامل مع الجماعة التي يعيشون بينها، هذا التعامل الذي سيثري، دون شك، كل عمليات التفاعل والابداع

محمد البطراوي